Journal Of the Iraqia University (74-4) November (2025)

ISSN(Print): 1813-4521 OnLine ISSN:2663-7502
Journal Of the Iraqia University
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/247

دلالة المصطلح القرآني بين الاستعمال اللغوي والتوجيه التفسيري

أ د. سلام عبود حسن

الجامعة العراقية كلية التربية للبنات

The Semantics of Qur'anic Terminology Between Linguistic Usage and Exegetical Interpretation

Prof. Dr. Salam Aboud Hassan
Iraqi University – College of Education for Women

Abstract

This study examines the semantic dimension of Qur'anic terminology by exploring the relationship between Arabic linguistic usage and exegetical interpretation. It is based on the premise that Qur'anic terms cannot be properly understood without an integrative approach that combines linguistic meaning, contextual usage, and the overarching purposes of the Qur'anic discourse. The study aims to clarify how Qur'anic meaning is constructed through the transition from general linguistic significance to specific legal or conceptual meanings, while highlighting the mechanisms of semantic stability and development in Qur'anic usage.

Employing a descriptive–analytical methodology, the study draws primarily on the works of Sunni exegetes and legal theorists, while selectively engaging with insights from modern semantic studies within a disciplined framework. The findings indicate that linguistic meaning constitutes the primary methodological foundation for understanding Qur'anic terminology, yet it remains insufficient without due consideration of Qur'anic context and exegetical guidance. Furthermore, the study demonstrates that differences among exegetes in interpreting Qur'anic terms do not signify semantic instability, but rather reflect the richness and multidimensionality of meaning within a unified textual framework. The study concludes by emphasizing the necessity of an integrative and methodologically grounded approach to Qur'anic terminology in order to achieve a precise understanding of the Qur'anic message and to limit contemporary interpretive excesses.

Keywords: Qur'anic terminology; linguistic semantics; Qur'anic usage; exegesis; semantic development.

المستخلص

يتناول هذا البحث دلالة المصطلح القرآني من خلال دراسة العلاقة بين الاستعمال اللغوي العربي والتوجيه التفسيري، منطلقًا من فرضية مفادها أن المصطلح القرآني لا يُفهم فهمًا صحيحًا إلا في إطار تكاملي يجمع بين اللغة والسياق ومقاصد الخطاب. ويهدف البحث إلى بيان كيفية تشكّل الدلالة القرآنية عبر الانتقال من المعنى اللغوي العام إلى المعنى الشرعي أو المفهومي الخاص، مع الكشف عن آليات الثبات والتطور الدلالي في الاستعمال القرآني.

وقد اعتمد البحث المنهج التحليلي الوصفي، مستندًا إلى أقوال مفسري وأصوليي أهل السنة، مع الإفادة من بعض معطيات الدرس الدلالي الحديث في حدود المنهج. وتوصّل البحث إلى أن الدلالة اللغوية تمثل الأساس المنهجي الأول لفهم المصطلح القرآني، غير أنها لا تكفي بمفردها دون مراعاة السياق القرآني والتوجيه التفسيري. كما بيّن أن اختلاف المفسرين في توجيه

المصطلح لا يعني اضطراب الدلالة، بل يعكس في كثير من الأحيان ثراء المعنى وتعدّد زوايا النظر ضمن الإطار النصي الواحد. ويخلص البحث إلى ضرورة اعتماد منهج تكاملي منضبط في دراسة المصطلح القرآني، بما يسهم في فهم أدق للخطاب القرآني ويحدّ من الانفلات التأويلي المعاصر.

الكلمات المفتاحية: المصطلح القرآني؛ الدلالة اللغوية؛ الاستعمال القرآني؛ التفسير؛ التطور الدلالي.

المقدمة

يحظى المصطلح القرآني بمكانة مركزية في فهم الخطاب القرآني، لما له من دور حاسم في بناء المعنى وتوجيه الدلالة العقدية والتشريعية والقيمية. فالقرآن الكريم، وهو ينزل بلسان عربي مبين، لم يكتفِ باستعمال الألفاظ العربية في معانيها المعجمية المتداولة، بل أعاد توظيف عددٍ كبير منها داخل نسق دلالي خاص، يتشكل عبر الاستعمال النصي والسياق والتوجيه التفسيري. ومن هنا برزت الحاجة إلى دراسة المصطلح القرآني دراسة منهجية تتجاوز الفهم الجزئي أو المعجمي، وتسعى إلى الكشف عن آليات تشكّل الدلالة في ضوء اللغة والاستعمال والتفسير.

وقد أسهم التراث التفسيري والأصولي عند علماء أهل السنة في وضع أسس علمية راسخة للتعامل مع المصطلح القرآني، قائمة على الجمع بين الدلالة اللغوية وسياق الخطاب ومقاصده، بما حال دون الجمود اللغوي من جهة، والانفلات التأويلي من جهة أخرى. غير أن الدراسات المعاصرة تشهد في بعض نماذجها إشكالات منهجية، تتمثل في الفصل بين المصطلح القرآني وأصوله اللغوية، أو تحميله دلالات حداثية لا يشهد لها الاستعمال القرآني. ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث، الذي يسعى إلى إعادة تأصيل النظر في دلالة المصطلح القرآني بين الاستعمال اللغوي والتوجيه التفسيري.

أهمية البحث

تتجلى أهمية هذا البحث في كونه يسهم في ضبط منهج التعامل مع المصطلح القرآني، بوصفه مدخلًا أساسًا لفهم الخطاب القرآني فهمًا منضبطًا. كما تبرز أهميته في إحياء المنهج التكاملي الذي أسّسه علماء أهل السنة، والقائم على الجمع بين اللغة والسياق والتفسير، في مواجهة القراءات التجزيئية أو الإسقاطية المعاصرة. ويضاف إلى ذلك أن البحث يقدّم إطارًا نظريًا يمكن الإفادة منه في الدراسات القرآنية والدلالية، ويساعد في ترشيد الجهود البحثية المتعلقة بتحليل المصطلحات العقدية والتشريعية في القرآن الكريم.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

كيف تتشكّل دلالة المصطلح القرآني بين الاستعمال اللغوي العربي والتوجيه التفسيري، وما حدود الثبات والتطور الدلالي في هذا التشكّل؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيس عدد من الإشكالات الفرعية، من أبرزها:

- ما الضوابط المنهجية التي تحكم الانتقال من المعنى اللغوي إلى المعنى القرآني؟
- هل يدل تعدد التوجيهات التفسيرية على اضطراب الدلالة أم على ثرائها؟
- إلى أي مدى يمكن الحديث عن تطور دلالي في المصطلح القرآني دون الوقوع في القطيعة مع اللغة؟

منهج البحث

اعتمد البحث المنهج التحليلي الوصفي، من خلال تحليل المصطلحات القرآنية في ضوء أصولها اللغوية واستعمالاتها القرآنية وتوجيهاتها التفسيرية. كما استفاد من المنهج الاستقرائي في تتبع استعمال المصطلح الواحد في مواضع متعددة من القرآن الكريم، وربطها بأقوال المفسرين من أهل السنة. واعتمد البحث كذلك المنهج المقارن عند الحاجة، للموازنة بين التوجيهات التفسيرية المختلفة، مع الالتزام بضوابط اللغة والسياق ومقاصد الخطاب القرآني، دون الخروج عن المرجعية العلمية للتراث التفسيري والأصولي المعتمد.

المبحث الأول

المصطلح القرآني ومفهوم الدلالة اللغوية

المطلب الأول: مفهوم المصطلح القرآني وضوابطه

يُعدّ المصطلح القرآني من الركائز المنهجية الأساسية في فهم الخطاب القرآني؛ إذ لا يتعامل القرآن الكريم مع الألفاظ بوصفها وحدات لغوية محايدة، بل يوظفها ضمن منظومة دلالية متكاملة، تتشكل عبر الاستعمال المقصود والسياق والربط النسقي بين المفاهيم. فاللفظ القرآني لا يكتسب دلالته النهائية من معناه المعجمي المجرد، وإنما من موقعه داخل البنية الخطابية للنص، وهو ما يمنحه بعدًا مفهوميًا يتجاوز حدود الدلالة اللغوية الأولية.

ويختلف المصطلح القرآني عن المصطلح الاصطلاحي في العلوم الإنسانية اختلافًا جوهريًا من حيث مصدر التحديد الدلالي؛ فالمصطلحات العلمية تُنشأ غالبًا بالاتفاق أو التعريف الإجرائي، بينما يتحدد المصطلح القرآني من داخل النص نفسه، من خلال التكرار، والتراكم السياقي، وربطه بمقاصد عقدية وتشريعية. وقد تنبّه علماء أصول الفقه إلى هذه الخصوصية، فميّزوا بين دلالة اللفظ في اللغة، ودلالته في الاستعمال الشرعي، مع التأكيد على أن هذا التمييز منهجي لا انفصالي، لأن المعنى الشرعي لا ينفك عن أصله اللغوي ولا يُلغيه[١].

وقد قرر الشاطبي أن الشريعة نزلت بلسان العرب، وأن فهم ألفاظها متوقف على معرفة دلالاتها اللغوية أولًا، ثم النظر في كيفية تصرّف الشارع فيها بالتقييد أو التخصيص أو النقل[٢]، ويؤسس هذا التقرير لضابط محوري في دراسة المصطلح القرآني، يتمثل في الجمع بين أصل المعنى اللغوي وسلطة الاستعمال النصي، دون تقديم أحدهما تقديمًا يُفضي إلى الإخلال بالدلالة.

ولا يُعدّ كل لفظ ورد في القرآن مصطلحًا بالمعنى الدقيق، إذ يشترط في المصطلح أن يكتسب كثافة دلالية خاصة، وأن يؤدي وظيفة مفهومية مستقرة نسبيًا، وأن ينتظم ضمن شبكة من العلاقات الدلالية مع غيره من المصطلحات. ومن هنا برزت في القرآن مصطلحات مركزية شكّلت أساس التصور العقدي والتشريعي، وأسهمت في بناء الرؤية القرآنية الشاملة للإنسان والحياة.

المطلب الثاني: الدلالة اللغوية وأهميتها في فهم المصطلح القرآني

تمثل الدلالة اللغوية المنطلق الأول لفهم المصطلح القرآني، وقد أجمع علماء أهل السنة على أن إهمال هذا المنطلق يؤدي إلى اضطراب في التفسير وانحراف في الفهم. فالقرآن نزل بلسان عربي مبين، ولا يمكن إدراك معانيه إلا في ضوء هذا اللسان. وقد أكّد ابن تيمية أن الجهل بلغة العرب من أعظم أسباب الخطأ في تفسير القرآن، لأن الألفاظ لا تُفهم إلا بحسب ما وُضعت له في أصل اللغة[٣].

وتتميّز اللغة العربية ببنية دلالية جذرية، تقوم على ردّ المعاني المتعددة إلى أصل دلالي جامع. وقد أولى علماء اللغة هذه الخاصية عناية خاصة، كما يظهر جليًا في منهج ابن فارس في مقاييس اللغة، حيث سعى إلى إرجاع الاستعمالات المختلفة إلى معنى محوري واحد[٤]، وتكتسب هذه المنهجية أهمية كبيرة في دراسة المصطلح القرآني، لأنها تكشف العلاقة بين الجذر اللغوي والمعنى الأصلي والتوجيه القرآني اللاحق.

غير أن الدلالة اللغوية، على أهميتها، لا تكفي وحدها لفهم المصطلح القرآني، لأن القرآن يعيد توظيف الألفاظ ضمن سياق جديد، يفرض عليها قيودًا دلالية إضافية[٥]. وقد التزم المفسرون الأوائل بهذا التوازن المنهجي، فكانوا يبدؤون بتحديد المعنى اللغوي، ثم ينتقلون إلى بيان المعنى المراد في السياق القرآني. ويظهر هذا المسلك بوضوح في تفسير الطبري، الذي يكثر من النقل عن أئمة اللغة، ثم يرجّح المعنى الذي يعضده السياق والقرائن[٦].

كما أكد ابن عطية أن حمل ألفاظ القرآن على غير معهود العرب لا يجوز إلا بدليل قاطع، لأن الخطاب الإلهي جاء بما يفهمه المخاطَبون، لا بما يستغلق عليهم[٧]، ويمنع هذا الأصل المنهجي من إسقاط المعاني الاصطلاحية اللاحقة على النص القرآني دون ضابط، ويؤكد مركزية الدلالة اللغوية بوصفها أساسًا للفهم، لا بديلًا عن السياق.

المطلب الثالث: السياق ودوره في توجيه الدلالة اللغوية

إذا كانت الدلالة اللغوية تمثل المادة الأولية للمعنى، فإن السياق هو الإطار الذي يضبط هذه المادة ويمنحها صورتها النهائية. ولا يُفهم المصطلح القرآني فهمًا صحيحًا إلا من خلال النظر في السياق الذي ورد فيه، سواء كان سياقًا لغويًا أو نصيًا أو مقاصديًا. وقد أدرك المفسرون هذا المبدأ إدراكًا عمليًا، فجعلوا السياق من أهم أدوات الترجيح بين المعاني المحتملة.

ويعمل السياق القرآني على توجيه الدلالة اللغوية من خلال إبراز بعض معاني اللفظ وإهمال بعضها الآخر، وفق ما يقتضيه المقام. وقد نبّه الزركشي إلى أن اللفظ الواحد قد تتعدد معانيه، وأن السياق هو الذي يعيّن المراد منها، وأن إهماله من أعظم أسباب الغلط في التفسير[٨]، وهذا ما يجعل المصطلح القرآني وحدة دلالية مركبة، لا يمكن اختزالها في معنى معجمي ثابت.

كما يسهم السياق في إدماج المصطلح ضمن شبكة مفاهيمية أوسع، فيتحدد معناه من خلال علاقته بمصطلحات أخرى داخل النسق القرآني. وقد أشار الراغب الأصفهاني إلى أن كثيرًا من ألفاظ القرآن لا يُفهم معناها على وجه التحقيق إلا من خلال مجموع استعمالاتها، لا من خلال موضع واحد[٩]، ويمنع هذا الفهم النسقي القراءة التجزيئية للنص، ويحول دون التوسّع غير المنضبط في الدلالة.

إن هذا التفاعل بين الدلالة اللغوية والسياق النصي يكشف عن الطبيعة المركبة للمصطلح القرآني، ويؤكد أن المعنى لا يُستمد من اللغة وحدها ولا من السياق وحده، بل من تفاعلهما داخل الخطاب. ومن هنا تتضح ضرورة الانتقال إلى دراسة الاستعمال القرآني للمصطلح، بوصفه المجال الذي تتجسد فيه علاقة الثبات والتطور الدلالي.

المبحث الثاني
الاستعمال القرآني للمصطلح بين الثبات والتطور الدلالي

المطلب الأول: خصوصية الاستعمال القرآني

يُعدّ الاستعمال القرآني للمصطلح العامل الحاسم في تشكّل دلالته النهائية، إذ ينتقل اللفظ من حيّز الإمكان اللغوي إلى حيّز التحقّق النصي المقصود. فالقرآن الكريم لا يتعامل مع الألفاظ بوصفها أدوات تعبيرية محايدة، بل يوظفها ضمن خطاب هادف، تُبنى دلالته عبر التكرار المقصود، والربط السياقي، والإدماج النسقي داخل منظومة عقدية وتشريعية وقيمية متكاملة.

وتتمثل خصوصية هذا الاستعمال في أن القرآن ينطلق من المعنى اللغوي العام للفظ، ثم يعيد توجيهه تدريجيًا ليؤدي وظيفة شرعية أو مفهومية محددة، دون أن يُلغِي الأصل اللغوي أو يقطع الصلة به. وقد قرر الأصوليون أن الشارع قد يستعمل اللفظ في معناه اللغوي، أو في بعض أفراده، أو ينقله إلى معنى شرعي خاص، وأن معرفة ذلك لا تكون إلا بالاستقراء من مجموع النصوص[١٠]، ويؤسس هذا المبدأ لضابط منهجي يمنع من الجمود على المعنى اللغوي المجرد، كما يمنع من فرض معنى شرعي اصطلاحي لا يدل عليه الاستعمال القرآني.

ويظهر هذا التوجيه بوضوح في اعتماد القرآن آليات دقيقة في تخصيص المعنى وتقييده، إذ لا يترك اللفظ على إطلاقه اللغوي الواسع، ولا يضيّق دلالته تضييقًا يُفرغه من ثرائه، بل يضبطه من خلال السياق، والقرائن، وربطه بمفاهيم أخرى داخل النسق القرآني. وقد أكّد الشاطبي أن الشريعة تتصرف في الألفاظ تصرّفًا مقصديًا، فتقيّد المطلق، وتخصص العام، بما يحقق مقاصد الخطاب دون إخلال بأصول اللغة[١١].

وبهذا المعنى، فإن خصوصية الاستعمال القرآني لا تكمن في إحداث قطيعة دلالية مع اللغة، وإنما في إعادة بناء المعنى داخل منظومة مرجعية جديدة، تجعل المصطلح القرآني أكثر انضباطًا وأبعد عن الانفلات التأويلي.

المطلب الثاني: تطور الدلالة بين اللغة والقرآن

يطرح الاستعمال القرآني للمصطلح مسألة التطور الدلالي بوصفها تطورًا مقصودًا وموجّهًا، لا تحولًا لغويًا عفويًا كما هو الشأن في التطور التاريخي للغة. فالقرآن يشهد بوضوح وجود ألفاظ احتفظت بدلالتها اللغوية الأساسية، مع توجيهها توجيهًا قيميًا أو تشريعيًا، دون أن تفقد جوهر معناها الأصلي. وقد أكد ابن عطية أن الأصل في ألفاظ القرآن حملها على معهود العرب في خطابهم، ما لم يدل دليل يصرفها عن ذلك[١٢]، وهو ما يرسّخ مبدأ الثبات الدلالي بوصفه قاعدة عامة في الفهم.

وفي مقابل هذا الثبات، تظهر ظاهرة اكتساب بعض الألفاظ دلالات شرعية جديدة، تصبح هي المتبادرة عند الإطلاق في السياق الديني. وقد عبّر الأصوليون عن هذه الظاهرة بمفهوم «النقل الشرعي»، وقرروا أنه لا يثبت إلا بالاستقراء التام للنصوص، لا بمجرد الاحتمال أو التأويل(١٣)، وهذا التفريق بين الثبات والتطور يمنح الباحث أداة منهجية دقيقة في التعامل مع المصطلحات القرآنية، ويحول دون التوسّع غير المنضبط في دعوى التطور الدلالي.

ولا يمكن فهم هذا التطور الدلالي بمعزل عن العرف العربي قبل الإسلام، إذ نزل القرآن في بيئة لغوية وثقافية محددة، لها تصوراتها وقيمها، فاستثمر ما فيها من معانٍ، ثم أعاد توجيهها وفق مقتضيات الهداية. وقد شدّد الزركشي على أن معرفة عادات العرب وأعرافهم من أدوات المفسر الأساسية، لما لها من أثر مباشر في فهم دلالة الخطاب القرآني(١٤)، مع التأكيد على أن هذا العرف لا يُعدّ حاكمًا على النص، بل مادة تفسيرية يُستأنس بها في الفهم.

وبذلك يتضح أن التطور الدلالي في القرآن ليس خروجًا عن اللغة، ولا استمرارًا آليًا لها، بل هو عملية توجيه مقصودة تحفظ للغة مكانتها، وتمنح النص استقلاله الدلالي المنضبط.

المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لمصطلحات قرآنية

يُبرز تتبع الاستعمال القرآني لبعض المصطلحات المركزية بوضوح آليات الثبات والتطور الدلالي. فمصطلح الإيمان، مثلًا، يدل في أصل اللغة على التصديق والطمأنينة، غير أن القرآن وسّع هذا المعنى وربطه بالقول والعمل والسلوك، بحيث أصبح الإيمان في التصور القرآني حالة شاملة تجمع بين الاعتقاد والالتزام العملي. وقد قرر أهل السنة، استنادًا إلى مجموع النصوص، أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، وهو توجيه دلالي لا يُلغِي الأصل اللغوي، بل يبني عليه ويطوره(١٥).

أما مصطلح الكفر، فأصله اللغوي يدل على الستر والتغطية، وقد استثمر القرآن هذا المعنى، فجعل الكفر سترًا للحق بعد ظهوره، لا مجرد جهل به. ويكشف الاستعمال القرآني أن الكفر موقف إرادي يقوم على الإعراض والمكابرة، وهو ما ينقل اللفظ من دلالة حسية إلى دلالة عقدية وأخلاقية مركبة، مع بقاء الجذر اللغوي حاضرًا بوصفه أساس المعنى.

وفيما يتعلق بمصطلح الفسق، فإن دلالته اللغوية القائمة على الخروج شكّلت أساسًا لتوجيهه القرآني، حيث استُعمل للدلالة على الخروج عن طاعة الله ومنهجه. ويُلاحظ أن القرآن يوظف هذا المصطلح بدرجات متفاوتة، فيشمل الخروج الجزئي والكلي بحسب السياق، مما يمنحه مرونة دلالية منضبطة، ويحول دون اختزاله في معنى واحد جامد.

وتكشف هذه النماذج أن الاستعمال القرآني لا يكتفي بنقل الألفاظ من معناها اللغوي إلى معنى شرعي جاهز، بل يعيد بناء الدلالة عبر التكرار والسياق والربط النسقي، وهو ما يجعل المصطلح القرآني عنصرًا فاعلًا في تشكيل الرؤية القرآنية الشاملة، ويمهّد لدراسة التوجيه التفسيري للمصطلح في المبحث اللاحق.

المبحث الثالث
التوجيه التفسيري للمصطلح القرآني وأثره في المعنى

المطلب الأول: مناهج المفسرين في توجيه المصطلح القرآني

يُعدّ التوجيه التفسيري المرحلة التطبيقية التي تتبلور فيها دلالة المصطلح القرآني، إذ ينتقل اللفظ من حيّز الاستعمال النصي إلى حيّز الفهم والاستنباط. وقد تنوّعت مناهج المفسرين في التعامل مع المصطلحات القرآنية، غير أن هذا التنوع لم يكن خروجًا عن أصول مشتركة، بل اختلافًا في زاوية المعالجة وترتيب الأدوات المنهجية.

فقد اعتمد المفسرون الأوائل، وفي مقدمتهم الطبري، منهجًا يقوم على ردّ المصطلح إلى أصله اللغوي، ثم بيان دلالته في السياق القرآني، مع الاستناد إلى تفسير السلف من الصحابة والتابعين. ويُعدّ هذا المنهج اللغوي–الأثري الأساس الذي قامت عليه المدرسة السنية في التفسير، إذ يجعل اللغة والسياق والنقل الصحيح أركانًا متكاملة في توجيه المعنى(١٦)، وقد صرّح الطبري بأن أولى الأقوال بالصواب هو ما دلّ عليه لسان العرب، وشهد له سياق الآية، وعضدته آثار السلف(١٧).

إلى جانب ذلك، برز المنهج العقدي في توجيه المصطلحات ذات الصلة بالإيمان والكفر والهداية والضلال، حيث يتداخل التفسير اللغوي مع تقرير أصول الاعتقاد. غير أن مفسري أهل السنة شدّدوا على ضرورة أن يكون النص هو الحاكم على

التصور العقدي، لا العكس. وقد أكّد ابن تيمية أن كثيرًا من الانحراف في التفسير إنما نشأ من تقديم المذهب على دلالة النص، وتحكيم الاصطلاح الكلامي في الألفاظ القرآنية[١٨].

كما يظهر في بعض التفاسير المتأخرة اهتمام بالبُعد المقاصدي في توجيه المصطلح، حيث يُنظر إلى اللفظ في ضوء وظيفته في تحقيق الهداية وبناء القيم. ويُعدّ هذا الاتجاه امتدادًا طبيعيًا لما قرره الشاطبي من أن الألفاظ الشرعية تابعة للمقاصد، وأن فهمها الجزئي بمعزل عن مقصدها الكلي يؤدي إلى الخلل في الاستنباط[١٩]، شريطة ألا يتحول الاعتبار المقاصدي إلى أداة لتجاوز الدلالة اللغوية أو السياقية.

المطلب الثاني: أثر الخلاف التفسيري في توجيه دلالة المصطلح

يمثّل الخلاف التفسيري ظاهرة علمية أصيلة في التراث الإسلامي، ناتجة عن سعة اللغة، وتعدد دلالاتها، واختلاف مناهج الاستدلال. غير أن هذا الخلاف لا يعني بالضرورة اضطراب دلالة المصطلح القرآني أو نسبيتها المطلقة، بل يكون في كثير من الأحيان تنوّعًا في الفهم داخل الإطار الدلالي نفسه.

وقد ميّز علماء التفسير بين الخلاف التنوعي، الذي تتعدد فيه العبارات مع اتحاد المعنى، والخلاف التضادي، الذي يقتضي الترجيح بين الأقوال[٢٠]، ويُعدّ هذا التمييز أداة منهجية مهمة في دراسة المصطلح القرآني، لأنه يمنع من توهّم التعارض الدلالي حيث لا تعارض، ويكشف أن كثيرًا من الاختلافات إنما هي اختلافات في زاوية التعبير لا في جوهر المعنى.

غير أن بعض الخلافات التفسيرية كانت ذات بعد عقدي أو فقهي، أثّرت في توجيه المصطلحات، خاصة تلك المتصلة بمباحث الإيمان والعمل، أو الحكم على الأفعال والأشخاص. وهنا يتجلى الفرق المنهجي بين مفسري أهل السنة وغيرهم، إذ حرص الأولون على جمع النصوص الواردة في المصطلح الواحد، وردّ المتشابه إلى المحكم، وعدم بناء الدلالة على دليل واحد معزول. وقد نبّه ابن القيم إلى أن تجزئة النصوص من أعظم أسباب الانحراف في الفهم، لأن اللفظ الواحد قد يُفهم على غير وجهه إذا نُزع من سياقه العام[٢١].

وبهذا المعنى، فإن تعدد التوجيهات التفسيرية لا يدل على سيولة الدلالة، بل على غناها وانضباطها في آن واحد، ما دامت محكومة بضوابط اللغة والسياق ومجموع النصوص.

المطلب الثالث: الضوابط المنهجية في توجيه دلالة المصطلح القرآني

حرص علماء أهل السنة على وضع جملة من الضوابط المنهجية التي تحكم توجيه دلالة المصطلح القرآني، وتمنع الانحراف في تفسيره. ويأتي في مقدمة هذه الضوابط الجمع بين الدلالة اللغوية والسياق القرآني، بحيث لا يُقدَّم أحدهما تقديمًا يُفضي إلى إلغاء الآخر. فاللغة تُبيّن الإمكان الدلالي، والسياق يحدّد المعنى المراد.

كما يُعدّ اعتبار مقاصد الخطاب القرآني ضابطًا أساسًا في توجيه المصطلح، إذ لا يُفهم اللفظ بمعزل عن غايته في الهداية والتقويم. وقد قرر الشاطبي أن النظر المقاصدي لا يصح إلا إذا بُني على الاستقراء التام للنصوص، لا على الاستحسان أو الذوق[٢٢]، وهو ما يمنع من توظيف المقاصد لتبرير قراءات منفلتة من النص.

ومن الضوابط المنهجية المهمة كذلك تجنّب إسقاط المصطلحات الاصطلاحية اللاحقة – الكلامية أو الفلسفية – على الألفاظ القرآنية، لأن ذلك يؤدي إلى تحميل النص ما لم يدل عليه الاستعمال القرآني. وقد شدّد الطبري على أن تفسير القرآن إنما يكون بما دلّ عليه لسان العرب، وما صحّ به النقل، لا بما أحدثه المتأخرون من اصطلاحات[٢٣].

إن الالتزام بهذه الضوابط يجعل التوجيه التفسيري أداة لفهم النص وضبط معناه، لا وسيلة لإعادة تشكيله وفق أطر خارجية، ويضمن بقاء المصطلح القرآني مرتبطًا بأصوله اللغوية والنصية والمقاصدية في آن واحد.

الخاتمة

بيّن هذا البحث أن المصطلح القرآني يقوم على تفاعلٍ منهجي بين الدلالة اللغوية العربية والاستعمال القرآني والتوجيه التفسيري، بما يجعل المعنى القرآني نتيجة بناء دلالي مقصود لا يُختزل في المعجم ولا ينفصل عن السياق. وقد اتضح أن الثبات والتطور في دلالة المصطلح ليسا ظاهرتين متعارضتين، بل آليتان متكاملتان تحفظان للنص مرجعيته اللغوية وتمنحانه في الوقت نفسه بعده الشرعي والمقصدي.

كما أظهر البحث أن مناهج مفسري أهل السنة أسهمت في ضبط دلالة المصطلح القرآني عبر الجمع بين اللغة والسياق ومقاصد الخطاب، بما حال دون الانفلات التأويلي أو الجمود اللغوي. ويؤكد ذلك أهمية اعتماد المنهج التكاملي في دراسة المصطلح القرآني، بوصفه مدخلًا أساسًا لفهم الخطاب القرآني فهمًا منضبطًا ومؤصّلًا.

قائمة المصادر والمراجع

اولاً: كتب التفسير وعلوم القرآن

١. الطبري، محمد بن جرير.جامع البيان عن تأويل آي القرآن .تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط١. القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م.

٢. ابن عطية، عبد الحق بن غالب.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م.

٣. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري.الجامع لأحكام القرآن .تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. ط٢. القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

٤. ابن كثير، إسماعيل بن عمر.تفسير القرآن العظيم .تحقيق: سامي بن محمد سلامة. ط٢. الرياض: دار طيبة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

٥. الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله.البرهان في علوم القرآن .ط٣. القاهرة: دار التراث، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٦. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر.الإتقان في علوم القرآن .تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط٤. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م.

ثانياً: كتب أصول الفقه ومناهج الاستدلال

١. الشاطبي، إبراهيم بن موسى.الموافقات في أصول الشريعة .تحقيق: مشهور حسن سلمان. ط١. الرياض: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

٢. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.مقدمة في أصول التفسير .ط٢. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣. ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم.مجموع الفتاوى .جمع: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم. ط٣. الرياض: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

٤. ابن القيم، محمد بن أبي بكر.بدائع الفوائد .تحقيق: علي بن محمد العمران. ط١. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

ثالثاً: كتب اللغة والمعاجم

١. ابن فارس، أحمد بن فارس.مقاييس اللغة .تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط٤. القاهرة: دار الفكر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢. ابن منظور، محمد بن مكرم.لسان العرب .ط٣. بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م.

٣. الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد.المفردات في غريب القرآن .تحقيق: صفوان عدنان داوودي. ط٤. دمشق: دار القلم، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م.

خامسًا: الدراسات اللغوية والدلالية المعاصرة

١. السامرائي، فاضل صالح.الدلالة القرآنية .ط٢. عمّان: دار عمّار، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م.
٢. أحمد مختار عمر.علم الدلالة .ط٥. القاهرة: عالم الكتب، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.
٣. تمام حسان.اللغة العربية معناها ومبناها .ط٤. القاهرة: عالم الكتب، ١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م.
٤. محمد عبد الخالق عضيمة.دراسات لأسلوب القرآن الكريم .ط٢. القاهرة: دار الحديث، ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

List of Sources and References

First: Books of Exegesis and Qur'anic Sciences

1. Al-Tabari, Muhammad ibn Jarir. Jami' al-Bayan 'an Ta'wil Ayi al-Qur'an. Edited by: Abdullah ibn Abdul-Muhsin al-Turki. 1st ed. Cairo: Dar Hajar, 1422 AH/2001 CE.
2. Ibn Atiyya, Abdul-Haqq ibn Ghalib. Al-Muharrar al-Wajiz fi Tafsir al-Kitab al-'Aziz. Edited by: Abdul-Salam Abdul-Shafi Muhammad. 1st ed. Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, 1436 AH/2015 CE.
3. Al-Qurtubi, Muhammad ibn Ahmad al-Ansari. Al-Jami' li-Ahkam al-Qur'an. Edited by: Ahmad al-Bardouni and Ibrahim Atfayish. 2nd ed. Cairo: Dar al-Kutub al-Misriyya, 1384 AH/1964 CE.
4. Ibn Kathir, Ismail ibn Umar. Tafsir al-Qur'an al-'Azim. Edited by: Sami ibn Muhammad Salama. 2nd ed. Riyadh: Dar Tayyiba, 1420 AH/1999 CE.
5. Al-Zarkashi, Badr al-Din Muhammad ibn Abdullah. Al-Burhan fi Ulum al-Qur'an (The Proof in the Sciences of the Qur'an). 3rd ed. Cairo: Dar al-Turath, 1427 AH/2006 CE.
6. Al-Suyuti, Abd al-Rahman ibn Abi Bakr. Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an (The Perfect Guide to the Sciences of the Qur'an). Edited by Muhammad Abu al-Fadl Ibrahim. 4th ed. Cairo: The Egyptian General Book Organization, 1394 AH/1974 CE.

Second: Books on the Principles of Islamic Jurisprudence and Methods of Reasoning

1. Al-Shatibi, Ibrahim ibn Musa. Al-Muwafaqat fi Usul al-Shari'ah (The Agreements in the Principles of Islamic Law). Edited by Mashhur Hasan Salman. 1st ed. Riyadh: Dar Ibn Affan, 1417 AH/1997 CE.
2. Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abd al-Halim. Muqaddimah fi Usul al-Tafsir (An Introduction to the Principles of Exegesis). 2nd ed. Cairo: Maktabat Ibn Taymiyyah, 1414 AH/1994 CE.
3. Ibn Taymiyyah, Ahmad ibn Abd al-Halim. Majmu' al-Fatawa (Collected Fatwas). Compiled by Abd al-Rahman ibn Muhammad ibn Qasim. 3rd ed. Riyadh: King Fahd Complex for Printing the Holy Qur'an, 1425 AH/2004 CE.
4. Ibn al-Qayyim, Muhammad ibn Abi Bakr. Bada'i' al-Fawa'id. Edited by: Ali ibn Muhammad al-Umran. 1st ed. Makkah: Dar Alam al-Fawa'id, 1424 AH/2003 CE.

Third: Books of Language and Dictionaries

1. Ibn Faris, Ahmad ibn Faris. Muqayis al-Lughah. Edited by: Abd al-Salam Muhammad Harun. 4th ed. Cairo: Dar al-Fikr, 1429 AH/2008 CE.
2. Ibn Manzur, Muhammad ibn Mukarram. Lisan al-'Arab. 3rd ed. Beirut: Dar Sader, 1414 AH/1994 CE.
3. Al-Raghib al-Isfahani, al-Husayn ibn Muhammad. Al-Mufradat fi Gharib al-Qur'an. Edited by: Safwan Adnan Dawoodi. 4th ed. Damascus: Dar al-Qalam, 1436 AH/2014 CE.

Fifth: Contemporary Linguistic and Semantic Studies

1. Al-Samarrai, Fadhil Saleh. Qur'anic Semantics. 2nd ed. Amman: Dar Ammar, 1434 AH/2013 CE.
2. Ahmad Mukhtar Omar. Semantics. 5th ed. Cairo: Alam al-Kutub, 1431 AH/2010 CE.

3. Tamam Hassan. The Arabic Language: Its Meaning and Structure. 4th ed. Cairo: Alam al-Kutub, 1430 AH/2009 CE.
4. Muhammad Abdul-Khaliq Adheema. Studies in the Style of the Holy Qur'an. 2nd ed. Cairo: Dar al-Hadith, 1419 AH/1998 CE.

هوامش البحث

(١) الشاطبي، إبراهيم بن موسى .الموافقات في أصول الشريعة .تحقيق مشهور حسن سلمان. ط١. الرياض: دار ابن عفان، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م، ج١، ص ٣٣.

(٢) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، المصدر السابق، ج٢، ص ٣٠٢.

(٣) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم .مقدمة في أصول التفسير .ط٢. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ١٥.

(٤) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ج٧، ص ٢٨٤.

(٥) السامرائي، فاضل صالح. الدلالة القرآنية. ط٢. عمّان: دار عمّار، ١٤٣٤هـ/٢٠١٣م، ص ٦٥.

(٦) ابن فارس، أحمد بن فارس .مقاييس اللغة .تحقيق عبد السلام محمد هارون. ط٤. القاهرة: دار الفكر، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م، ج١، ص ٢١.

(٧) الطبري، محمد بن جرير .جامع البيان عن تأويل آي القرآن .تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي. ط١. القاهرة: دار هجر، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م، ج١، ص ٣٩-٤٢.

(٨) ابن عطية، عبد الحق بن غالب .المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز .تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٣٦هـ/٢٠١٥م، ج١، ص ٤٧.

(٩) الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله .البرهان في علوم القرآن .ط٣. القاهرة: دار التراث، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م، ج٢، ص ١٧٦.

(١٠) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج١، ص ٤٥.

(١١) الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، ج١، ص ٣٠٢.

(١٢) ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، المصدر السابق، ج١، ص ٥٢.

(١٣) ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المصدر السابق، ج٧، ص ٢٩٠.

(١٤) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج٢، ص ١٧٧.

(١٥) الراغب الأصفهاني، الحسين بن محمد .المفردات في غريب القرآن .تحقيق صفوان عدنان داوودي. ط٤. دمشق: دار القلم، ١٤٣٦هـ/٢٠١٤م، ص ٣٧٦.

(١٦) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١، ص ٣٦.

(١٧) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج٣، ص ١٥٤.

(١٨) ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم .مقدمة في أصول التفسير .ط٢. القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٤هـ/١٩٩٤م، ص ٣٨..

[١٩] الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، المصدر السابق، ج٣، ص ١٧.

[٢٠] ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم .مجموع الفتاوى .جمع عبد الرحمن بن محمد بن قاســـم. ط٣. الرياض: مجمع الملك فهد، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م، ج١٣، ص ٣٣١-٣٣٤.

[٢١] ابن القيم، محمد بن أبي بكر .بدائع الفوائد .تحقيق علي بن محمد العمران. ط١. مكة المكرمة: دار عالم الفوائد، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ج٢، ص ٤٢١-٤٢٥.

[٢٢] الشاطبي، الموافقات في أصول الشريعة، المصدر السابق، ج٤، ص ١٩٤.

[٢٣] الزركشي، البرهان في علوم القرآن، المصدر السابق، ج٢، ص ١٨٢.